عبر الهاتف، يرتدى ملابسه بسرعة، وقد يفارق بيته إلى الطريق بدون أن يغسل وجهه، أو يحلق ذقنه، يقصد مقهى اعتاد الجلوس به ناحية النزهة بمصر الجديدة، أو يتجه إلى النادى الأهلى الذى حصل به على عضوية شرفية بتدخل من الأمن الخاص، يلتقى بمعارفه، يحيد بالحديث حتى يذكر من وقع عليه بغضه، يتحدث عنه بانفعال، يصفه بقبيح النعوت، يصغى الآخرون إليه صامتين يجاريه بعضهم درءاً لأذاه، أو بدافع الدهشة، أثناء نيله من الضحية يرتفع نبضه ويتصبب عرقه وقد يسيل لعابه.

لا يخفى علاقته بالأمن الخاص، بل يحرص على التلميح إليها، وأحيانًا يذكرها صراحة، وربما تباهى بها، إذا جرى حوار حول موضوع عام، يتابعه صامتًا وعلى شفتيه ابتسامة بها ظل من استخفاف، ومسحة سخرية، ومحاولة ثقة، وإذا بلغ الأمر حداً معينًا من الخلاف فإنه ينطق بعض الجمل ذات الدلالة، مثل:

«ثمة معلومات مؤكدة عندى لكننى لا أستطيع ذكر المصدر..».

«يمكننى أن أعطى إشارات.. لكن..».

«أنا مكلف بمهمة معينة لا يمكننى الإفصاح عن مضمونها..».

عند نطقه الجملة الأخيرة يتداخل دماغه بين كتفيه، يبرز صدره، يبدو تكوينه غريبًا إضافة إلى اختلال نسقه، لكنه يفيض بمتعة غامضة وكأنه يمارس الحب بالمخيلة!

أحيانًا، أثناء جلوس بعض زملائه ممن تقتضى مناصبهم ومسئولياتهم التعامل معه بانتظام، أو بعض معارفه من الخارج، يرن الهاتف، إذ يصغى، يصيح بلهجة حادة، عسكرية الإيقاع: